جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلية الآداب والحضارة الإسلامية **قسم اللّغة العربية**

النّدوة العلمية: صورة العرب في الخطاب الأدبي بين القديم والحديث.

مقترح مشاركة: صورة العربي في قصص "موشيه سميلنسكي" نحو قراءة ثانية. الأستاذة: حميدة قادوم

ملخص بالعربية: يعتبر موشيه سميلنسكي من أبرز الشخصيات اليهودية التي كتبت عن العرب، بناء على معاشرته لهم أثناء فترات الاستيطان اليهودي بفلسطين، وكانت فترة تواجده ما بين 1882-1903، تعرف خلالها على كثير من العرب الفلسطينين وعاشرهم وتعامل معهم بصفة مباشرة مما دفعه للكتابة عنهم بعد انتقاله إلى سويسرا مسترجعا ما عاشه مع العرب ومعبرا عن رؤيته لهم، فكتب القصة القصيرة استجابة لقرائه من اليهود الذين أرادوا أن يعرفوا الانسان العربي وتفكيره ومعتقداته ، وهكذا يسهل عليهم الاستيطان والتوسع في الأراضي العربية. بناء على ما تقدم، تأتي هذه المداخلة لتبين رؤية الآخر اليهودي للعرب من خلال نماذج من القصة العبرية القصيرة لموشيه سميلنسي. فكيف كانت نظرة موشيه للعرب؟ وكيف ينقلها لقومه من اليهود؟

الكلمات المفتاحية: القصة العبرية- صورة- العرب- اليهود.

Summary :

Moshe Sliminsky is considered one of the greatest Jewish personalities who wrote about the Arabs based on his association with them during the periods of Jewish settlement in Palestine. The period of his presence was between 1882-1903, during which he got acquainted with many Palestinian Arabs, lived with them, and dealt with them directly, which prompted him to write about them after moving to Switzerland, recalling what he lived with the Arabs and expressing his vision towards their thought and beliefs. He wrote the short story in response to his Jewish readers who wanted to know the Arab man, his thinking and beliefs, and thus facilitate their settlement and expansion in Arab lands. Based on the foregoing, this intervention comes to show the Jewish other's view of the Arabs through examples from the short Hebrew story of Moshe Smelinsky. How was Moshe's view of the Arabs? How does he transmit it to his people of the Jews?

Keywords: the Hebrew story, a picture, the Arabs. Jews.

تمهيد:

يمثل الأدب سلاحا قويا لدى مختلف الشعوب في تثبيت هويتها ومد جسور التواصل في علاقتها بالآخر وتقديم صورة عنه، وتعتبر الشعوب الغربية العالم العربي عالما مختلفا عنها في اللسان والثقافة والدين والمعتقدات، مما يجعلها جزءا معاديا لها، أو تمثل الصورة النّمطية للشخصية العربية الدّونية. ومن بين الصور الرائجة في هذا الصدد؛ صورة العربي الضعيف والفقير والفاقد للحكمة وغيرها، وهي الصورة التي يقدمها الأديب اليهودي موشيه سميلنسكي في مجموعته القصصية الموسومة "العرب" موضوع الدّراسة.

1-صورة العرب في أدب الآخر:

إن أيسر وسيلة يستخدمها الآخر الغربي من أجل ترسيخ الصورة النّمطية للأنا العربية هي الأدب الذي جمع على قدر واسع ما يراه من سلبيات في شخص العربي، باعتباره عدوا له يهدد وجوده ومعتقداته فسعى بشتى الطرق إلى تشويه صورته وتقديمه للعالم الغربي على أساس أنه يشكل خطرا على الإنسانية والسلام العالمي، وهذه الصورة النّمطية تم توارثها "منذ الحروب الصليبية فيها من الخوف والكره ما يضع الآخر في مصاف الوحوش، وفيها من الاستعلاء والعجرفة ما يضع الآخر في الحضيض"[1] وبذلك يحاول الآخر الغربي إقناع نفسه ومن حوله بوحشية العربي المسلم وفرض فكره بالقوة.

ويمثل هذا التّوجه في الأدب تيارا قائما بذاته يتحول فيه الأدب من كونه رسالة تجمع الشعوب وتنشر السلام في العالم إلى وسيلة لبث الخوف والرعب وتزوير تاريخ ووقائع الشعوب العربية المسلمة، ومن بين الآداب التي سعت إلى تحقيق تلك الأهداف الواهية، الأدب اليهودي الذي بدأ يعرف وينتشر منذ حركة التنوير اليهودية التي ظهرت في الفترة الممتدة ما بين 1780 -1880 في أوروبا من شرقها إلى غربها، وتسمى هذه الحركة بالعبرية (الهاسكالاه)؛ مؤسسها هو اليهودي (موسى مندلسون)، وتهدف هذه الحركة إلى الارتقاء بطرق حياة اليهود وتعديل الشرائع اليهودية والاندماج اجتماعيا واقتصاديا مع

---

[1]- محمود يوسف حسينات، إسلاموفوبيا الأدب، صورة العرب والمسلمين في الأدب الألماني، كنوز المعرفة،ط1، 2018، 07.

سائر الشعوب، ومن أكثر ما ركزت عليه هذه الحركة لأجل بلوغ أهدافها هو تعلم لغات العالم وثقافات البلدان الأوروبية والاشتغال بالمهن الحرة.[2]

كما توجه اليهود إلى الأدب بغية نشر أفكارهم والاندماج في الحركة الثقافية العالمية، ومحاولة فرض فكرهم والبحث عن فضاء جغرافي يلم شتاتهم، لذلك" تميز الإبداع اليهودي الذي انحصر غالبا في مجال الدّين والعقيدة، مع استثناءات لا دينية محدودة، في الأندلس في العصور الوسطى، بأنّه إبداع أو أدب بلا حدود جغرافية، أي بلا وطن ثابت، وأنّه تنقل عبر التّاريخ اليهودي من مكان إلى مكان بل من قارة إلى قارة."[3] ومن الأدباء الذين ساهموا في إعلاء حركة التنوير اليهودية نذكر: ميخايوسف ليفنزون، ويهودا جوردون، وإفراهام مابو، وبيرتس سمولنسكين.

ومن أشهر ما كتب في هذه الفترة هي رواية "محبة صهيون" لإفراهام مابو، وتعتبر أول رواية مقرائية[4] في تاريخ اليهود، نشرت سنة 1853، تليها قصيدة "استيقظ يا شعب" للشاعر يهودا ليف جوردون التي كتبها سنة 1863، ويقول فيها:

سنولد في الأرض التي نحيا بها	وسيمدون أيديهم بالسلام
وستتفتح هذه الأرض لنا	ارفع رأسك وسر منتصب القامة
أبناؤها سيدعوننا أخوة	وكن شعبا منتشرا وتحدث لغتهم
وحتى متى ستبقى مرتحلا فيما بينهم	سيتعلم الجميع حكمتك
ولماذا تخالفهم السير	ولنتعلم كل المهن
سيحررونا من العناء	في الجيش والحقل
وسيرفعون عنا سوء العذاب	كن انسانا عند خروجك للعمل

---

[2]- ينظر: رشاد عبد الله الشامي، بدايات الأدب العبري الحديث، أدب حركة التنوير اليهودية (الهسكالاة) ، الدار الثقافية للنشر، القهرة، ط1 ، 2008، ص04.

[3]- المرجع نفسه، ص03.

[4]-الرواية المقرائية، المقرا هو الاسم العبري الذي يطلق على كتاب العهد القديم في أي لغة من لغات العالم.

ويهوديا في خيمتك

أخا لأبناء بلدك وعبدا لملك[5]

إن المعاني التي يسعى لنشرها الشاعر في هذه القصيدة تهدف إلى وضع مخطط يهودي يمكنهم من إيجاد فضاء جغرافي يمنحهم نفس الحقوق التي يتمتع بها الشعب الأوروبي خاصة في روسيا وألمانيا، كما نلمس فيه اعتراف على لسان اليهود بأنهم شعب منبوذ من العالم كله، ولأجل ذلك يتعلمون لغات العالم وكل المهن التي قد تجعل لهم شأنا بين الشعوب، وانطلاقا من هذا المخطط وتحت راية الحركة التنويرية اليهودية أعلن غزوه على فلسطين" واقتنص الغزاة الصهاينة لحظة فالتة من الزمن، بعدما أقاموا مع غيرهم الحدود لتصبح جرحا في قلب العالم الإسلامي ، فدخلوا فلسطين وشردوا أهلها، ولكنهم ليسوا استثناء ولن يكونوا غير ذلك."[6]

واستعان اليهود بالأدب بشتى أنواعه في الدفاع عن أنفسهم وافتكاك شرعيتهم في الأراض الفلسطينية مزيفيين للحقائق التاريخية، ليقدموا صورة نمطية عن الأنا العربية الإسلامية، فتنوع أدبهم بين المسرحية، والرواية، والقصة، والشعر، ومن الأعمال التي يمكن أن نذكرها في هذا الّصدد؛ ما كتبه الشاعر الألماني يوهان فولفانغ "فن غوته" الذي يقدم من خلاله صورة الإسلام والمسلمين من منظوره، في حين "تعكس مسرحيتا الأديب النّمساوي دانييل كاسبر لونشتاين Daniel Caspar Lounshteine " إبراهم باشا" و"واد السلطان إبراهيم" صورة الحاكم الظالم الذي لا هم له سوى اللّهو والبذخ وحبك المؤامرات"[7]

وتقدم المسرحية الموسومة "اختطاف من السرايا" لكريستوف فريدرش بريتسنر Chiristoph Freidrich Bretzne قضية اختطاف النّساء في عرض البحر وبيعهم للسلاطين العثمانيين، وغيرها من الأعمال الأدبية التي تضع العربي في صورة وحشية تحطّ من قيمته وإنسانيته، هذا من جهة، وكتبت الأعمال الأدبية الغربية من جهة أخرى، وهي تضع" الشخصيات العربية في أدوار مرشدين

---

[5]- المرجع السابق، ص5و6.

[6]- محمود يوسف حسينات، إسلاموفوبيا الأدب، ص289.

[7]-المرجع نفسه، ص08.

وخدم وزعماء قبائل فقيرة خاضعة وجزارين ورعاة غنم وصيادين"[8] وقد تنوعت هذه الصور النّمطية تجاه الشخصية العربية وانتشرت في شكل قوالب مهيمنة[9] على الذّهنية الغربية تجاه كل العرب بوصفهم "متعصبين" و"لصوصا نهابين" و"متأخرين وبدائيين."

وهذه القوالب في طريقها إلى الاختفاء، في حين ظلّت النّسخة المعادية للعرب والمشكّكة في تاريخهم وهويتهم العربية محل خلاف بين اليهود في كل أنحاء العالم، كقولهم بأنّ الإسلام يقوم على التّعصب أو الإسلام متسامح لكن في حدود معينة، وقولهم بأنّ العرب قدريون ويؤمنون بالخرافات، وأنّهم خوافون وجبناء، وأنّ العرب متنقلون لا أراضي لهم، وهم دخلاء على أرض الغير ويطمعون في ثروات الآخرين وغيرها من القوالب التي حاولوا أن يدسوها في عقول الشعوب عبر العالم، وهذه القوالب كانت أساس العمل الأدبي عندهم.

ومن المقتطفات الروائية الخيالية المأخوذة عن الأدب الفرنسي أنّ الثنائي متفوق/ متدن يرتبط ارتباطا وثيقا بالثنائي فعّال/غير فعّال، وأنّ الثنائي المقصود غربي/ عربي، فنجد المؤلفين ينسبون الجانب الأكبر من الأفعال ذات المدلول الإيجابي إلى الفاعل الإسرائيلي مثل قوهم: يقبل، ويريد التّفاوض ويبني ويدافع عن نفسه، ويهزم ويحتفظ بفتوحاته، وهذا في مقابل تقديم الفاعل الفلسطيني والعرب عامة بأنهم جامدون لا يتحركون وبطيؤون في العمل، وحالمون مطيعون لأوامر رؤسائهم، وأنّهم يهربون أمام المخاطر، ويقبلون الاتهامات الباطلة دون الدفاع عن أنفسهم، ويحلمون بالهرب إلى عالم خيالي ينتمي إلى الماضي، وغيرها من المواصفات التي تجعل العربي دائما أدنى من الغربي.[10]

وقد كتب (موشيه سميلنسكي) مجموعة قصص يستهدف من خلالها الشخصية العربية من منظور يهودي يضعها في صورة نمطية وضيعة، ويحاول من خلالها أن يجد لنفسه مكانا في العالم العربي، حيث يركز في سرد الأحداث بطريقة تجعل الشخصية اليهودية صاحبة الفضل على العربي المعدوم

---

[8]–الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1999، ص479.

[9]– ينظر: المرجع نفسه، ص484 ومابعدها.

[10]– ينظر: المرجع نفسه، ص480

والضعيف الذليل، وهي صورة يتجلى من خلالها الصراع الهويتاتي والفكر الحداثي الذي يحمله الآخر اليهودي /الصهيوني تجاه العالم العربي الإسلامي.

2-صورة العربي في قصص موشيه سميلنسكي:

نركز في هذا العنصر على ست قصص قصيرة[11] من الأدب العبري كتبها (موشيه سميلنسكي) بالعبرية المبسطة، وقامت بصياغتها للعبرية (جاليا يردني) ونشرتها المنظمة الصهيونية العالمية بالقدس، ونقلها إلى العربية الدكتور "سيد سليمان عليان"، مدرس اللّغة العبرية وآدابها بجامعة عين شمس. وتشتمل هذه النّصوص على صور متنوعة للشخصية العربية النّمطية، ويبرز فيها دور الشخصية اليهودية الإيجابي في محاولة من الكاتب لتزييف الحقائق التاريخية، وإذلال وتشويه للشخصية العربية وجعلها تابعة للآخر "وقد كان موضوع الكتابة عن العرب وحياتهم آنذاك من الموضوعات الرومانسية في الأدب العبري والكتابة فيه تلقى رواجا بين اليهود الصهاينة الجدد المتعطشين للتّزود بمعرفة سكان فلسطين العرب وحياتهم"[12]

وعليه تجدر الإشارة إلى أنّ القصص الست موضوع الدّراسة نشرت عام 1984 بعنوان "العرب" وهي تقدم نموذجا عن الشخصية العربية كما يراها اليهود وكما يريدها أن تكون، لذلك نجد (موشيه) يوظف فيها الأسماء العربية ويجعلها شخصيات سلبية، أو عدائية، أو بليدة غير قادرة على إيجاد الطريق الصحيح دون مساعدة اليهود الذين نسب إليهم الحكمة والذكاء مثلما نسب إليهم العلم والثراء. وتتمثل هذه القصص في العناوين الآتية: صاحب الكلب، الحمو، الموت المفاجئ، بنت الشيخ، عبد الهادي، الثأر.

***النّموذج الأول في قصة "صاحب الكلب"**: جمع سميلنسكي في هذه القصة عدّة نماذج نمطية يصف من خلالها شخصية العربي من منظور يهودي، وهي صورة تشي بحجم العداء للعرب عامة، وأبرز هذه الصور نجد:

---

[11]- نصوص القصص كاملة المعتمدة مأخوذة من كتاب: سيد سليمان الموسوم: صورة العرب في القصة العبرية القصيرة، مكتبة مدبولي، مصر، د.ط، 1999.

[12]-المرجع نفسه، ص06.

1-عبودية العربي وسواده:

يمثل هذه الشخصية في القصة القصيرة الموسومة "صاحب الكلب" فتى اسمه (عبد الله) وكان والده عبد أسودا ذميما، يدل على ذلك وصفه بالقول" كان أبوه عبدا اشتراه أحد أفندية يافا من سوق مصر" وقوله أيضا" كان عبد الله عبدا زنجيا أسود البشرة كله كأبيه"[13] وخلال حديثه عن عبودية الشخصية العربية يشير إلى عنصرية العرب، وأنها كانت تفرق بين البيض والسود في صورة منافية لحقيقة التّعاليم الإسلامية التي يدين بها العرب، والتي تفيد بأنّ لا فرق بين عربي وأعجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتّقوى، ولكن (سميلنسكي) يصرّ على توصيف العرب بهذه الصورة السلبية التي تجعله محط سخرية كما في قوله" لم يكن في يافا زنجيا سواه، وكانت الناس تهزأ منه وتطلق عليه لقب الشيطان الأسود."[14]

وقد أضاف أحد الباحثين في قراءته لهذه القصص القصيرة أن (سميلنسكي) يصر على تقديم صورة عن حياة العرب بين القرية والبدو، لأنّ شخصية الرجل الأسود نفسها لاقت قبولا في البدو على عكس القرية التي كان يقطنها، أمّا شخصية اليهودي الملقب ب(أبي موسى) تؤدي دور الانسان الفاضل الذي قبل التّعايش مع العربي دون أن ينقص من قيمته، وهذه من السموم والأكاذيب التي يروج لها الكاتب، ويتجلى ذلك في قوله "وذات يوم ذهبت أبحث عن حارث لأشجاري فوجدت هذا الراعي المسن الأسود الذي وافق على المجيء معي، وجلسنا في إحدى الليالي سويا على شاطئ البحر وروى لي قصة حياته وبعد أن أنهى حكايته سكت للحظات ثم قال: فقد كان الكلب أبيض اللون كأنه أهم شيء."في هذا المقطع يصر الكاتب على وضع الشخصية العربية في صورة ذليلة وهو مقتنع بهذا الذل لأنه كان يفضل كلبه على نفسه.

*-خضوع العربي وخوفه:

يحاول الكاتب من خلال هذه الصورة السلبية أن يجعل الشخصية العربية محط ذل وخضوع، وذلك من خلال رد فعل (عبد الله) على الذين كانوا يسخرون منه، ولكنه كان أكثر شجاعة في دفاعه

---

[13]- سيد سليمان عليان، صورة العرب في القصة العبرية القصيرة، مكتبة مدبولي، مصر، د.ط، 1996، ص28.

[14]-المرجع نفسه، ص29.

عن كلبه الذي آثره على نفسه في المأكل والمشرب والكرامة يقول "فلم يكن عبد الله يتفوه بكلمة عندما كانوا يسخرون منه أو عندما كانوا يضربونه، لكنه كان يدافع عن كلبه بكل شجاعة، كان يغطيه بجسده ليتلقى عنه الضربات وهو يصرخ في الأولاد قائلا لهم لكنه كلب أبيض اللون"[15]

يحاول الكاتب أن يضلل القارئ ويصف الشخصية العربية بقيم لا تمد لها بصلة، فهل حقا غاب عنه أن الشخصية العربية تمتلك من القيم الأصيلة ما يجعلها فخرا للإنسانية جمعاء؟ كالشجاعة والكرم، والكرامة الشخصية، وحرية الرأي والتعبير من القيم العربية الراسخة، ولكنه يقلب الأدوار والصفات وهذا حسب رأينا راجع إلى عقدة الشخصية اليهودية وبغضها للشخصية العربية في أدق تفاصيلها، كما ترجع هذه النّظرة الدونية للعرب إلى إيمان اليهود بأفضليتهم على سائر البشرية واعتقادهم بأنهم شعب الله المختار خاصة وأنهم أصحاب دين سماوي متطور قياسا للأديان السائدة في الحجاز في ذلك الوقت ممّا جعلهم يتّصفون بالصّلف والتّكبر وإشعار الآخر أنّه أقلّ منزلة منه[16].

3-العربي الفقير المعدوم:

تطغى هذه الصورة على شخصية العربي في القصة العبرية عموما ، وفي قصة صاحب الكلب بصورة أخص، ليستدل من خلالها على فضل اليهود على العرب وكأنهم هم الدّخلاء، وأنّ اليهود أصحاب الأرض والتّجارة والمال، وتتمثل هذه المعاني في سرده لحياة (عبد الله) الذي "لم يستطيع تحقيق أمل الزواج بعد أن صار مسنا لأنه لم يكن يمتلك بروطة واحدة، فكان يأخذ أجره طعاما أو ثوبا باليا"[17]

وترجع فكرة ثراء اليهود ونجاحهم في التّجارة إلى تاريخ اليهود الأول قبل ظهور الإسلام، حيث كانوا يسكنون يثرب ومناطق حجازية أخرى؛ كخيبر ، وفدك، وتيماء، وغيرها، والحقيقة أنّ يهود الحجاز كانت "مناطق سكناهم قابلة للزراعة (تربتها وأمطارها مناسبة)، وبالتالي كانت سببا في يسرهم المادي النّسبي واستقرارهم في البلدات وفي يثرب، حتى أنّهم كانوا يستخدمون السكان العرب في

---

[15]- المرجع السابق، ص29.

[16]- ينظر: حسين العودات، صورة العرب في ضوء العلاقات التاريخية، ص133.

[17]- سيد سليمان عليان، صورة العرب في القصة العبرية، ص30.

مناطقهم في الأعمال الزراعية ويتعاملون معهم كتعامل رب العمل مع العامل في ذلك العصر المتقدم."[18] لذلك يركز (سميلنسكي) في هذا الصدد على جعل العربي شخصية دونية ذليلة تعمل من أجل إشباع بطنها، فحتى النقود لم يكن يعرفها كما في قوله "فعندما بدأ اليهود في المجيء لهذا المكان بدأ عبد الله يرى النقود رغم قلتها لكنه كان قد شاخ وتقدم في السن."[19]

يدّعي (سميلنسكي) في مجموعته القصصية هذه أنه يعرف العرب جيدا ولكنه يبدو أنه كان يجهل أمورا كثيرة عنهم أو يعرف بعضها ويتجاهلها، فهو يجهل ماضي وأمجاد الأمة العربية، ولا يعرف أن "العروبة، تاريخيا كانت دائما دائرة انتماء حضاري وقومي، مثلت واقعا طوره الإسلام واعترف به وأقرّ بفضله، والأمة العربية هي الطليعة التي استجابت لدعوة الإسلام، وتولّت حمايته، بالدّعوة والفتح، ثم أبدعت حضارته العربية الإسلامية، وحملت الدّعوة إليه بين شعوب الأمم الأخرى، والإسلام هو الذي صنع للأمة العربية وحدتها القومية الأولى..."[20]

وإذا حاولنا الوقوف عند صورة العربي الفقير المعدوم التي يروج لها الكاتب، وأنّ اليهود أصحاب الفضل على العرب، وأنهم أصحاب تجارة ومال، فلا بد أن نستحضر بعض صفات اليهود التي ربما تكون سببا في حيازتهم للمال، فقد أجمع العامة "على مجموعة من الخصائص السلوكية التي تكمن وراءها قيم مرفوضة. ولعل من أبعاد صورة الإسرائيلي التي ذكرها العامة أنّ اليهودي **أولا**: بخيل مقتر إلى درجة الشح، وفسرت عينة العامة بأنّه مادي يعشق المال، وأنّه **ثانيا**: أناني، ودلّل أحد الإخباريين على هذا بأنه رأى بعينه يهوديا يأكل عود قصب من آخره، فلما سأله عن سبب ذلك، أجاب بأنّه كلما اتجهت من أعلى إلى أسفل عود القصب ازددت حلاوة، ولهذا أتمتع أنا بكثرة حلاوة، حتى إذا مر علي شخص أعطيه الجزء الأعلى وهو أقل حلاوة. و**ثالثا**: مرابٍ، والمرابي انسان مرفوض دينيا، فالربا من محرمات الإسلام، كما أن الربا ضار اجتماعيا لأنه يعني استغلال حاجة المحتاج وفرض شروط قاهرة إذعانية

---

[18]– حسين العودات، صورة العرب لدى الآخر في ضوء العلاقات التاريخية، ص133.

[19]– سيد سليمان عليان، صورة العرب في القصة العبرية، ص30.

[20]–أحمد طربين، التجزئة العربية، كيف تحققت تاريخيا؟ سلسلة الثقافة العربية، ع14، مركز الوحدة العربية، بيروت، 1987، ص264.

عليه."[21] إن هذه السلوكيات تكون محط خجل وضعف وسوء وليس محط فخر وتفضل كما يدعي (سميلنسكي)، أو كما يريد أن يشير في حديثه عن زعامة اليهود ونشاطهم بالتّجارة والمال.

النّموذج الثاني: قصة الحمو.

يظهر من عنوان هذه الأقصوصة أنها تدور حول ما يعرف بوالد الزوج، ولكن بعد قراءتها يتبين أن المقصود بالحمي الزوج نفسه، أو كما كان يلقب (حمي الجمل) وترجع هذه التّسمية إلى ما يتميز به هذا الزوج من ضخامة في جسده وبدانته كأنّه الوحش الكاسر، ومن الصور التي تنتجها هذه القصة ما يلي:

1- الزوج المنبوذ:

يمثل هذه الشخصية رجل يدعى (عبد الله) يتّصف بضخامة جسده وطيبة قلبه، ولكن ذلك لم يشفع له عند زوجته التي كانت تكرهه وتنبذه وتحتقره" وأمّا الزوجة فكانت تكره هذا الزوج الضخم القميء، لأنّه كان في نظرها قرويا فضا(...) "[22] وهنا نستكشف الفكرة التي يرغب الكاتب في دسها للقارئ وهي التّفرقة والتمييز بين أبناء الشعب الواحد، وكأنّ "الاختلاف العربي يعني ، في الوعي الجمعي، نوعا من الانحراف ، يتشكل كحواجز نفسية متصلبة من الخوف والشك والريبة، ويتبلور كحيطان اسمنتية من التضادات الفاصلة بين عوالم تبدو لبعضها نقيضة لا تستطيع (لا ترغب) أن تلتقي وتتحاور ، لتتفاعل وتتواصل، ويبقى البحث عن مراكز الاتقاء من عوامل مشتركة مستقرة، أو روابط مستمرة، أو حتى مصالح متغيرة أمرا ملحا."[23]

2-الزوج عديم الشرف:

وهذه من أخطر الصور التي يود الآخر الترويج لها، فقد كانت شخصية (عبد الله) تمثل دور الزوج عديم الشرف لأنه كان يقف صامتا أمام ما يصله من كلام سيء عن زوجته من طرف الجيران

---

[21]-الطاهر لبيب، صورة الآخر، العربي ناظرا ومنظورا إليه، ص369

[22]- سيد سليمان العليان، صورة العرب في القصة العبرية القصيرة، ص31.

[23]- الطاهر لبيب، صورة الآخر ، العربي ناظرا ومنظورا إليه، ص389.

والجارات لأنه يحبها "عندما كانت تصرخ كان يسكت ويعاني في هدوء. لم يهتم بما رواه الجيران والجارات من أشياء سيئة عن زوجته، وكانت الزوجة تصرخ فيه قائلة: إني أكرهك وأريد الطلاق."[24] ثم ينتقل من صورة الزوج عديم الشرف إلى **العربي المتوحش** الذي يتسبب في كسر يد زوجته ممّا يضطرها للطلاق منه بحضور والدها، وهكذا يخسر (عبد الله زوجته) وفي الوقت نفسه يخسر الألف فرنك التي قدمها لها مهرا.

روّج الأدباء اليهود لكثير من الصور السلبية للإنسان العربي خاصة بعد حرب 1967 التي انهزم فيها العرب، فكانت هذه الحادثة التاريخية مادة دسمة استغلها الكتاب والأدباء بغرض التّقليل من شأن العربي، وكانت كتبهم المدرسية والروايات الأدبية تركز على هذه الأفكار ليثبتوا أنّ العرب ليسوا كاليهود لا في ثقافتهم ولا في علمهم وحضارتهم ولا في شجاعتهم، ومن الصور السيئة والسلبية التي يروج لها (سميلنسكي) كغيره من اليهود؛ ("الزواج بالإكراه وضرب النساء وبيع النساء كالحمير في سوق الزواج، بل إن الكثير من أدبياتهم كانت تحاول إقناع اليهود أن العرب آمنوا بأنهم شعب الله المختار، فهناك العربي الذي يقول لليهودي حسب مزاعم بعض الروايات الأدبية" إنّكم تستحقون هذه الأرض فقد حولتموها إلى جنات خضراء وكانت صحراء لا نستفيد منها" وفي رواية يهودية أخرى تزعم أن أحد العرب يقول" لقد عرفت لمن وعدت إسرائيل، لم يوعد بها سوى أولئك الذين وضع الرب فيهم المهابة والاحترام والقوة والبطولة والكرم والسخاء"[25]).

إنّ المطلع على الأدب العبري يستطيع أن يكتشف من الوهلة حجم المغالطات التي تقدم في حق ل الشخصية العربية، وقد كان الأدب العبري ممنوعا من القراءة والنّقد في المكتبات العربية مما سمح لهم بالتّمادي في خلق صورة سيئة ومنافية تماما لحقيقة الشخصية العربية، ولهذا فإن الانفتاح على الآخر هو السبيل من أجل الرد على الاتهامات الخطيرة التي تلقى على عاتق العربي وهي اتهامات أخلاقية، ودينية وسياسية، ووجودية.

---

[24]- المرجع السابق ص س.

[25]- حسين العودات، صورة العرب لدى الآخر في ضوء العلاقات التاريخية، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2014.ص159.

النّموذج الثالث: موت الفجأة، موت القُبلة.

وتعدّ هذه الأقصوصة من الموروث اليهودي، ولكن الكاتب أراد أن يسقطها على العرب مع ما فيها من تحوير وتبديل، ولعل الفكرة المحورية التي تدور حولها هذه الأقصوصة تتمثل في القول بأن المرأة شيطان وهي سبب الشرار كلها، وهنا ينتقل بنا (سميلنسكي) من تتبع صورة الرجل العربي إلى تتبع صورة المرأة العربية، مع تزييف للحقائق التاريخية وحتى الدينية، كأنّه يقدم صورة عن دونية المرأة في الإسلام هذا من جهة، ويصور من جهة أخرى الرجل العربي بأنه رجل شهواني يقبل على الموت من أجل إرضاء نفسه وشهواته، وكان هذا حال أبناء الشيخ خليل الذي أصبح ذكره يستوجب التوبة "فعندما يتناول الشيوخ سيرته كانوا ينظرون إلى السماء بخوف ويقولون سطوفر الله العزيم (استغفر الله العظيم).[26]

النّموذج الرابع: بنت الشيخ:

يدور مضمون هذه الأقصوصة حول خلاف بين قبيلتين عربيتين؛ قبيلة جبلي وقبيلة شهلي حول قطة أرض، ثم يتطور الخلاف إلى قطيعة تامة بين القبيلتين، وهنا يحاول الكاتب أن يجسد صورة التناحر العربي، وفي ذلك إشارة للحروب الدّاخلية ويتمادى في وصف هذه القطيعة التي ما لبثت حتى تحولت من قضية خلاف على قطعة أرض إلى قضية شرف إثر استباحة الفتاة (فاطمة) لشرفها مع أحد أبناء قبيلة جبلي الذي كان محرما عليها وفق ما اتفق عليه.

يحاول الكاتب من خلال هذا النمّوذج السلبي أن يضع الفتاة العربية في صورة من تستبيح شرفها والفتى في صورة الخائن، وبذلك يخرج بصورة ثالثة هي عقدة الانتقام "بعد عدّة أسابيع بدأ الحديث في القرية عن فاطمة الحبلى وكانوا يذكرون هذا الأمر في البداية بخوف غير مصدقين الأمر كله." ولكن في هذه القصة الانتقام من فاطمة يكون على أيدي بنات جنسها حيث قاموا بضربها حتى الموت، وهذه الصورة الدونية هي الاستثناء الوارد في العالم العربي.

---

[26]- المرجع السابق، ص32.

النموذج الخامس: عبد الهادي –صورة العربي الرجعي المتمسك بالماضي:

تعالج هذه القصة ثيمة مهمة جدا في تاريخ الشخصية العربية من خلال الرجوع إلى الماضي والعيش فيه مع رفض كل جديد طارئ، تمثلها شخصية (عبد الهادي) الذي يصفه الكاتب بالرجل العربي المتخلف مستعملا البندقية كإحالة رمزية لتراث الأمة العربية، وكيف يرفض (عبد الهادي) التّخلي عنها أو بيعها بسعر غال" لقد طمع أحد الأثرياء في بندقية عبد الهادي وأراد أن يمتلكها بالشراء، فرفض عبد الهادي التّفريط فيها وتمسك بها وأحبها أكثر من بيته وزوجته وأولاده ورفض أن يفتدي ابنه بالبندقية وتركه يذهب للجندية تنفيذا لعقاب الثري."[27]

وهكذا ظلّ (عبد الهادي) يحتفظ ببندقيته التي ورثها عن والده إلى أن اكتشف أنّها لم تعد صالحة لقتل الضباع كما كان يفعل، ولم تعد مطلوبة في السوق ولو بأبخص سعر، وبهذا يحاول الكاتب أن يجسد عقلية العربي المتحجر ويقدمه في أسوء صور التّخلف والرجعية " ليكتشف في النّهاية أنه أسرف في تمسكه بالقديم. ومات عبد الهادي بمرض الكبرياء. فهذا العربي في نظر سميلنسكي شعر أن أفكاره التي توارثها خاطئة وأدرك أن الجديد أفضل فمات غيظا دون أن يعلم أحد بسبب موته."[28]

النّموذج السادس: الثأر

يطرح الكاتب في هذه القصة قضية زواج المحارم التي لا يمكن أن يبيحها الإسلام، ولا يمكن أن يقوم بها المسلمون، ومع ذلك نجده يسعى لتشويه صورة العربي المسلم في طرحه لاحتمالية رغبة البنت في الزواج من عمها والعياذ بالله، وهذا من الصور الخطيرة التي وجب الرد عليها فيما يكتبه الآخر اليهودي" وهذه الصورة من زواج المحارم قد ذكرتها التوراة في أكثر من موضع: في قصة لوط مع ابنتيه (سفر التكوين19:31 وما بعدها) وفي قصة يوخابد وعمرام (سفر الخروج)...وتامار وأمنون.."[29]

---

[27]- صورة العرب في القصة العبرية القصيرة، ص20.

[28]- المرجع نفسه، ص21.

[29]- المرجع نفسه، ص24.

يحاول الكاتب اليهودي أن يسقط بعضا ممّا ورد في التوراة وينسبه للعرب أو يريد أن يجعل بعض المبادئ عادة عربية، ومهما يكن الأمر الذي حمله على هذه الاتهامات الخطيرة، فإن كل ما ورد في مجموعته القصصية الموسومة "العرب" تشي بجهله للعرب وتقاليدهم ومعتقداتهم على عكس ما ادعى.

خاتمة:

مثلت هذه الورقة البحثة محاولة لاستجلاء صورة العربي من منظور يهودي من خلال المجموعة القصصية "العرب" للكاتب اليهودي (موشيه سميلنسكي) والتي خلصنا من خلالها إلى مايلي :

- ✓ سعى الآخر اليهودي إلى تقديم رؤية مضللة عن الانسان العربي المسلم بغية تعتيم صورته أمام العالم كافة.
- ✓ حاول الكاتب من خلال بعض قصصه أن يعدم العربي بصفته صاحب الأرض والدين الصحيح.
- ✓ وضع الكاتب الشخصيات العربية في مرتبة أدنى منه، وحاول من خلال ذلك ادعاء السيادة والحكمة.
- ✓ ركز الكاتب في أغلب قصصه على توظيف اسم العلم (عبد الله) و(فاطمة) من أجل الحط من قيمة العربي المسلم خاصة عندما يصفه بالعبودية والسواد والشرف.
- ✓ حاول الكاتب من خلال نصوصه أن يفتعل الفتنة بين الشخصيات الموظفة ويهدف من وراء ذلك إلى زيادة التوتر الحاصل بين العرب وتشتيت شملهم.
- ✓ ينظر (سميلنسكي) إلى العرب نظرة دونية ويتهم النّساء العربيات بالفسق والعار كما أشار في قصة بنت الشيخ، وأصر على تسمية البنت باسم (فاطمة) ليجعل النّموذج العربي الإسلامي في دائرة الشبهات.

المصادر والمراجع:

1- محمود يوسف حسينات، اسلاموفوبيا الأدب، صورة العرب والمسلمين في الأدب الألماني، كنوز المعرفة،ط1، 2018.

2- رشاد عبد الله الشامي، بدايات الأدب العبري الحديث، أدب حركة التنوير اليهودية (الهسكالاة) ، الدار الثقافية للنشر، القهرة، ط1 ، 2008.

3-الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1999.

4-أحمد طربين، التجزئة العربية، كيف تحققت تاريخيا؟ سلسلة الثقافة العربية، ع14، مركز الوحدة العربية، بيروت، 1987.

5- سيد سليمان عليان، صورة العرب في القصة العبرية القصيرة، مكتبة مدبولي، مصر،1996.

6-حسين العودات، صورة العرب لدى الآخر في ضوء العلاقات التاريخية، دار الساقي، لبنان، ط1، 2014.